مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

إصلاح النفس في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

الدكتورة حصة بنت حمد بن محمد الحواس

أستاذ التفسير المشارك قسم القرآن وعلومه، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث

شرق الناس وغربوا في إصلاح ذواتهم وتهذيبها، وما علموا أن ذلك بين أيديهم! فلقد استفاضت النصوص في كتاب الله للحديث عن النفس حثا على التفكر فيها، وبيان أنواعها، ومحاسبتها، لتسعد بالرضا في الدنيا والآخرة، وتنجو من الضيق والعذاب في الدارين، مما يدل على عناية الشرع بإصلاح النفس وتهذيبها، فنجاة العبد وهلاكه بصلاح تلك النفس أو فسادها. فالحديث في هذه الورقات عن ذلك وقد مهدت لهذا البحث بتعريف النفس ودلالاتها في القرآن الكريم، والنفس بين الأمر بالتزكية والنهي عنه.

ثم نُظِم البحث في فصلين. أولهما: تضمن أنواع النفس في القرآن الكريم وهي: النفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللَّوَّامَة، كل نوع في مبحث.

أما الفصل الثاني: ضمنته تسع وسائل لإصلاح النفس، أولها: استشعار عظمة الله ومراقبته، وثانيها: قراءة القرآن وتدبره، تلا ذلك: تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، ورابعها: التحلي بالفضائل وترك الرذائل من الأخلاق.

أما الخامسة فهي: محاسبة النفس ومجاهدتها عن اتباع الهوى، تلاها: التوبة، والوسيلة السابعة كانت: استحضار يوم الحساب، والثامنة: الصحبة الصالحة، وخاتمة تلك الوسائل كان: الدعاء.

وختمت البحث بخاتمة تحمل نتائجه وتوصياته.

والله أسال التوفيق والسداد

الكلمات المفتاحية: إصلاح – النفس – القرآن الكريم.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

د. حصة بنت حمد بن محمد الحواس

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

أما بعد:

لقد استفاضت النصوص في كتاب الله للحديث عن النفس حثا على التفكر فيها، أو بيان أنواعها، أو محاسبتها، أو حثا لوقايتها من النار، وغيرها من جوانب النفس المختلفة فقد ورد ما يزيد على ثلاث مائة موضع للفظ النفس في القرآن الكريم، فقد أقسم بها الجليل سبحانه فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس: ٧] وجعل الفلاح في صلاحها، والخيبة والفشل في فسادها فقال سبحانه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٨-١٠] ودعا للتفكر فيها يقول الله عز وجل ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] قال قتادة: (من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة). قال ابن القيم: (فالنفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل فلا بد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه).

مشكلة البحث:

تعددت الطرق والمشارب في تطوير النفس وتهذيبها في زماننا، وتخبط البعض في الاستقاء من حياضها بغية إصلاح نفسه فتلطخ بوحل تلك النظريات، جهلا منه أن الشرع ما نزل إلا لإصلاح تلك النفس.

- فهل أولى القرآن الكريم النفس البشرية عناية، وذكرها؟
- وما معنى النفس التي تحدث عنها القرآن الكريم، وهل هي نوع واحد.؟
- وهل تضمن القرآن الكريم وسائل لإصلاح النفس وتهذيبها؟
- رأيت إلقاء الضوء على هذه الأمور في هذه الورقات.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وإنه لشرف لكل دارس أن يسعد بدراسة القرآن الكريم وأن يتناول موضوعا من موضوعاته، وجعلته بعنوان: (إصلاح النفس في القرآن الكريم دراسة موضوعية).

سائلة من المعين سبحانه الإعانة. وعلى الله الاتكال في إتمامه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أهداف البحث:

ومن أبرز أهداف البحث:

(١) بيان عناية الشرع بإصلاح النفس وتهذيبها

(٢) معرفة معنى النفس، وأنواعها.

(٣) بيان وسائل إصلاح النفس.

منهجية البحث:

المنهج الذي سأسير عليه "بإذن الله" هو استقرائي تحليلي للآيات المراد توضيحها، ثم تفسيرها تفسيرا موضوعيا.

يتناسب ومباحث الموضوع، وتتضمن إجراءات البحث أيضا ما يلي:

(١) تخريج الآيات.

(٢) عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية.

(٣) بيان معاني الألفاظ الغريبة.

الدراسات السابقة:

العلماء لم يغفلوا دراسة النفس والبحث فيها، وفي بعض جوانبها دراسة مستقلة ومن تلكم الدراسات:

(١) النفس وحقيقتها في القرآن الكريم. د. رانيا نظمي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية. عام ٢٠٠٦م.

والبحث يقع في ثلاثين ورقة، تضمن معاني النفس وأنواعها فقط.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(٢) ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، إعداد: زين حسين أحمد ياسين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات، نابلس – فلسطين، عام ٢٠٠٩م، وتقع في ٤٧٥صفحة وتطرقت للنفس من الجانب النفسي الفلسفي، ودلالات النفس في القرآن مبحث من ثمان صفحات فقط في هذه الرسالة، وبقية الرسالة عن الدوافع والانفعالات.

(٣) آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم، إعداد: نعيمة عبد الله البرش، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في التفسير وعلوم القرآن عام ١٤٢٩هـ. الجامعة الإسلامية – غزة.

تناولت الباحثة فيه مفهوم النفس، وأهمية معرفتها وحقيقتها، وعلاقتها بالروح والقلب والجسد في ضوء القرآن الكريم. تحدثت عن الإعجاز النفسي في القرآن، وأثر القرآن في الأمن النفسي، ومن ثم تناولت أهم الآفات والأمراض التي قد تصيب النفس.

(٤) مفهوم الروح والنفس في ضوء آيات القرآن الكريم، لنعيم دونر، ٢٠١٨م، يقع في (٣٥) صفحة دراسة تعقد مقارنة بين مفهوم الروح والنفس والفرق بينهما.

هذه بعض الدراسات التي تطرقت للحديث عن النفس، وكما هو موضح بجانب كل دراسة أنها تشترك في البحث الذي بين يدي في بعض جوانبه دون بعض، فوسائل إصلاح النفس كدراسة مستقلة لم أعثر عليها في المصادر التي بين يدي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، والفهارس.

- **المقدمة:**

فيها سبب اختيار البحث، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة فيه، ومنهج الباحثة فيه، وخطة البحث.

- **التمهيد** وفيه:

(١) تعريف النفس.

(٢) دلالات النفس في القرآن الكريم.

(٣) النفس بين الأمر بالتزكية والنهي عنه.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

- **الفصل الأول: أنواع النفس في القرآن الكريم**، وفيه ثلاثة مباحث:
- **المبحث الأول:** النفس المطمئنة .
- **المبحث الثاني:** النفس الأمارة بالسوء.
- **المبحث الثالث:** النفس اللَّوَّامَة.
- **الفصل الثاني: وسائل إصلاح النفس**، وفيه تسعة مباحث:
- **المبحث الأول:** استشعار عظمة الله ومراقبته.
- **المبحث الثاني:** قراءة القرآن وتدبره.
- **المبحث الثالث:** تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.
- **المبحث الرابع:** التحلي بالفضائل وترك الرذائل من الأخلاق.
- **المبحث الخامس:** محاسبة النفس ومجاهدتها عن اتباع الهوى.
- **المبحث السادس:** التوبة.
- **المبحث السابع:** استحضار يوم الحساب.
- **المبحث الثامن:** الصحبة الصالحة
- **المبحث التاسع:** الدعاء.
- **الخاتمة** وفيها:
- التوصيات والنتائج.
- **فهرس:** المصادر والمراجع.
- **فهرس:** الموضوعات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

تمهيد

(١) تعريف النفس:

(النَفْسُ: الروحُ. يقال: خرجت نَفْسُهُ...، والنَفْسُ: الدمُ. يقال: سالت نَفْسُهُ...، والنَفْسُ أيضاً: الجسدُ...، والنَفْسُ: العينُ. يقال: أصابت فلاناً نَفْسٌ...، والنافِسُ: العائِنُ.

«ونفس الشئ: عينه يؤكد به. يقال: رأيت فلاناً نَفْسَهُ، وجاءني بنَفْسِهِ. ...

والنفس بالتحريك: واحد الأَنْفاسِ. وقد تَنَفَّسَ الرجل، وتَنَفَّسَ الصُعَداء، ... وتَنَفَّسَ الصبح، أي تَبَلَّج. ... والنَفْسُ أيضاً: الجُرعة. يقال اكْرَعْ في الإناء نَفساً أو نَفَسَيْنِ، أي جرعة أو جرعتين، ...ويقال أيضاً: أنت في نَفَسٍ من أمرك، أي في سعة. وشئ نفيس، أي يُتَنافَسُ فيه ويُرْغَبُ. وهذا أَنْفَسُ مالي، أي أحبُّهُ وأكرمُهُ عندي)[١].

(وجمعها النُّفُوس: لها معان. النَّفسُ: الرّوح الذّي به حياة الجسد، وكلّ إنسانٍ نَفْسٌ حتّى آدم عليه السّلام، الذَّكَرُ والأنثى سواء. وكلُّ شيءٍ بعينه نَفْسٌ. ورجلٌ له نَفسٌ، أي: خُلُق وجَلادة وسَخاء)[٢].

وقد اضطربت تعريفات العلماء في تعريف النفس اصطلاحا، قال ابن القيم:

(قد تكلَّم الناس فيها من سائر الطوائف، واضطربت فيها أقوالهم، وكثر فيها خطؤهم)[٣] وقد يطول عرض تلك التعريفات، ومن هذه التعريفات: قال الجرجاني: (النفس: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه. وأما في وقت النوم

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (٣/ ٩٨٤) بتصرف، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (٧/ ٢٧٠)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٣) الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (٥١١/٢)، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي، راجعه: سعود بن عبد العزيز العريفي – جديع بن محمد الجديع، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط: الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه).[٤] ثم اختلفوا هل النفس هي الروح أم أنهما مختلفان. وباستقراء الآيات في القرآن الكريم والأحاديث في السنة النبوية، نستطيع أن نقول:

النفس البشرية: هي ذات الإنسان التي خاطبها الشرع بالتكليف بالأمر والنهي، وزودها بعقل تعقل عنه أمره ونهيه،

وبذلك قال ابن حزم وابن عاشور وغيرهم. فالنفس (هي مجموع ذات الإنسان من الهيكل والروح كما هنا وباعتبار هذا التركيب الذي في الذات اتسع إطلاق النفس في كلام العرب تارة على جميع الذات كما في التوكيد نحو جاء فلان نفسه وقوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٨٥] وتارة على البعض كقول القائل أنكرت نفسي وقوله: ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٤] وعلى الإحساس الباطني كقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ [المائدة: ١١٦] أي ضميري. وتطلق على الروح الذي به الإدراك ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣])[٥] (وذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح فيسمونها النفس، أي الذات وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير (أنا)، ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه ويسمونها نفسا أيضا).[٦] قال ابن حزم: (فإن الله عز وجل ركب في النفس الإنسانية قوة مختلفة فمنها عدل يزين لها الإنصاف ويحبب إليها موافقة الحق، ومنها غضب وشهوة يزينان لها الجور ويعمیانها عن طريق الرشد، ومنها فهم يليح لها الحق من قريب وينير لها في ظلمات المشكلات فترى به الصواب ظاهرا جليا، ومنها جهل يطمس عليها الطرق ويساوي عندها بين السبل فتبقى النفس في حيرة تتردد وفي ريب تتلدد ويهجم بها على أحد الطرق المجانبة للحق المنكبة عن الصواب تهورا وإقداما أو جبنا أو إحجاما أو إلفا وسوء اختيار، ومنها قوة التمييز التي سماها الأوائل المنطق فجعل لها خالقها بهذه القوة

---

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ص٢٤٢)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م. (وقال غيره: الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل، فإذا نام النائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (١٣/ ٨)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

(٥) التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، (١/ ٤٧٦)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

(٦) المصدر السابق (١٤/ ٣٠٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

سبيلا إلى فهم خطابه عز وجل وإلى معرفة الأشياء ما هي عليه وإلى إمكان التفهم الذي به ترتقي درجة الفهم ويتخلص من ظلمة الجهل فيها تكون معرفة الحق من الباطل، ومنها قوة العقل التي تعين النفس المميزة على نصر العدل وعلى إيثار ما دلت عليه صحة الفهم وعلى اعتقاد ذلك علما وعلى إظهاره باللسان وحركات الجسم فعلا. وبهذه القوة التي هي العقل تتأيد النفس الموفقة لطاعته على كراهية الحود عن الحق وعلى رفض ما قاد إليه الجهل والشهوة والغضب المولد للعصبية وحمية الجاهلية فمن اتبع ما أناره له العقل الصحيح نجا وفاز ومن عاج[٧] عنه هلك وربما أهلك).[٨]

فالنفس هي الروح، والجسد قالب لذلك. وهذه النفس هي المقصودة بهذا البحث.

(٢) دلالات النفس في القرآن الكريم.

ورد لفظ النفس في القرآن الكريم مائتين وخمسًا وتسعين مرة، باختلاف تصاريفه، وهي على أحد عشرة وجها:

الأول: يراد به آدم عليه السلام[٩]. وذلك في قوله سبحانه: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨].

الثاني: الأم: قوله تعالى في سورة النور: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] يعني بأمهاتهم[١٠].

---

(٧) انعطف ومال قال ابن فارس: (العين والواو والجيم أصل صحيح يدل على ميل في الشيء، وفروعه ترجع إليه.) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، (٤/ ١٧٩) بتصرف، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٨) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، (٤/١)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٩) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ص ٥٩٥، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(١٠) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني. ص ٤٦٢، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل. دار العلم للملايين، ط الخامسة ١٩٨٥م.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وذهب آخرون(١١) إلى أنها تعني البعض(١٢) (ألا ظن بعضهم ببعض خيرا)(١٣) وسيأتي لاحقا هذ الوجه.

الوجه الثالث: مجيئها بمعنى الإنسان، قال الله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] أي: الإنسان بالإنسان، ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥١] يعنى: الإنسان، لأن النفس على الحقيقة لا تقتل، والحق هاهنا القصاص(١٤).

﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ [المائدة: ٣٢] أي الإنسان.

الرابع: النفس بعينها قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٦٦](١٥)

الخامس: (الْأَهْل. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤]، قيل: إِنَّه أَمر الْأَب الَّذِي لم يعبد الْعجل أَن يقتل ابْنه العابد، وَالْأَخ الَّذِي لم يعبد أَن يقتل (أَخَاهُ) العابد).(١٦)

---

(١١) مجاهد، ينظر: تفسير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١٢٩/١٩)، تحقيق: محمود محمد شاكر إلى سورة إبراهيم، دار التربية والتراث – مكة المكرمة –.

(١٢) وقال بذلك الزجاج في: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخى، (١٩٠/٣)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

(١٤) الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ص ٤٧٤ بتصرف، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧.

(١٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٥٩٥).

(١٦) المصدر السابق (ص ٥٩٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

السادس: الجماعة أو منكم. (من أنفسكم، أي: منكم. قوله تعالى في سورة براءة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي منكم).[١٧]

السابع: (الْبَعْض. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، أَي: يقتل بَعْضكُم بَعْضًا).[١٨] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

(يقول: بعضكم بعضا)[١٩] ومنها أيضا: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، قال: (يسلم بعضكم على بعض)[٢٠] والبعض جعل الآيتين الآخيرتين وجه آخر، وهو التالي:

الثامن: (أهل الدّين. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي النُّور: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، أَي: على أهل دينكُمْ. وَفِي الحجرات: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١])[٢١] ولا يعتبر ذلك اختلاف تضاد بل هو اختلاف تنوع فكلا الوجهين متقاربين.

التاسع: (النفس القلب، قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣] أي القلوب، وقوله تعالى في سورة يوسف ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] أي قلبي. وقال تعالى في سورة ق: ﴿وَنَعْلَمُ

---

(١٧) قاموس القرآن (ص ٤٦٢).

(١٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٥٩٥).

(١٩) تفسير الطبري (١٢٩/١٩).

(٢٠) المصدر السابق (١٢٩/١٩).

(٢١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٥٩٥).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

﴿مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] وقال سبحانه في سورة الإسراء: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٢٥] يعني قلوبكم).(٢٢)

العاشر: (النفس الروح، قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي أرواحكم. كقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] يعني يقبض الأرواح).(٢٣)

هذه المعاني السابقة لنفس الإنسان (فسمِّيت النفْسُ رُوحًا لحصول الحياة بها.

وسُمِّيت نفْسًا إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما مِن تنفَّسَ الشيءُ إذا خرج. فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سمِّيتْ نفْسًا. ومنه النَّفَس ـ بالتحريك ـ فإنَّ العبد كلَّما نام خرجَتْ منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كلِّيًا، فإذا دُفنَ عادت إليه، فإذا سُئل خرجتْ، فإذا بُعِث رجعت إليه.

فالفرق بين النفس والروح فرقٌ بالصفات، لا فرق بالذات).(٢٤)

الحادي عشر: ذات الله عز وجل نفسه، كما في قوله سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ﴾ [الأنعام: ١٢] قال ابن تيمية: (فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء " اللَّهُ نَفْسُهُ " التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ).(٢٥)

---

(٢٢) قاموس القرآن (ص ٤٦٢).

(٢٣) المصدر السابق (ص ٤٦٢).

(٢٤) الروح، لابن قيم الجوزية، (٦١٦/٢).

(٢٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (٢٩٢/٩)، جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

قال ابن عثيمين: (والمراد بنفسه: ذاته عزّ وجل، كما قال تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾، وليس النفس صفة كسائر الصفات كالسمع والعلم والقدرة، فالنفس يعني: الذات، فقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ يعني: ذاته، وقوله هنا(٢٦): (عَلَى نَفْسِي)(٢٧) يعني: على ذاتي، وكلمة "النفس" أصوب من كلمة " ذات " لكن شاع بين الناس إطلاق " الذات " دون إطلاق "النفس"، ولكن الأصل العربي: "النفس").(٢٨)

(٣) النفس بين الأمر بالتزكية والنهي عنه.

معنى التزكية:

(الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال الطهارة زكاة المال ... والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة).(٢٩)

وجاء في لسان العرب: (وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث).(٣٠)

فأصل الكلمة راجع لهذين المعنيين: فالمال يزكو وينمو وتحل به البركة إذا طهر بمراعاة حق الله فيه، بأخذه من حله وإخراج الزكاة التي أمر الله بها.

المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢٦) العبارة اللاحقة (على نفسي) هي بداية الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا "

(٢٧) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٤) (٢٥٧٧)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢٨) شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص ٢٤٤ دار الثريا للنشر.

(٢٩) معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٧) بتصرف.

(٣٠) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ابن منظور الإفريقى، (١٤/ ٣٥٨)، اعتنى به: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وكذلك النفس تزكو بهذين الأمرين:

(١) بتطهيرها مما يدنسها ويلوثها.

(٢) بتنميتها بالأعمال التي تقربها إلى خالقها.

وبهذا أمر الله سبحانه وحث عليه في كتابه الكريم وجعل فلاح النفس وصلاحها بذلك قال سبحانه:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى: ١٤] (ومعنى تزكى: عالج أن يكون زكيا، أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها،...فمادة التفعل للتكلف وبذل الجهد،.. فالتزكية: الارتياض على قبول الخير والمراد تزكى بالإيمان).[٣١]

وقال سبحانه حاثا على البذل في تزكيتها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ (أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح).[٣٢] قال ابن عباس: (قد أفلح من زَكَّى اللهُ نفسه).[٣٣]

وقال قتادة: (قد أفلح من زَكَّى نفسَه بعمل صالح).[٣٤]

قال الفراء: (قد أفلحت نفس زَكَّاها الله، وقد خابت نفس دسّاها، ويقال: قد أفلح من زَكّى نفسَه بالطاعة والصدقة، وقد خاب من دسَّى نفسه، فأخملها بترك الصدقة والطاعة).[٣٥]

---

(٣١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٧) بتصرف يسير.

(٣٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٩٢٦، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

(٣٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٥٦).

(٣٤) المصدر السابق (٢٤/ ٤٥٦).

(٣٥) معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، (٢٦٧/٣)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: الأولى.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ دسى (يدل على خفاء وستر. ...، وهو نقيض زكا).[٣٦] و(الدس: إدخال الشيء من تحته، ... ودسه يدسه دسا إذا أدخله في الشيء بقهر وقوة).[٣٧]

قال ابن عباس: (وقد خاب من دَسَّى اللهُ نَفسَه فأضلَّه).[٣٨]

وقال قتادة: (أثّمها وأفجرها).[٣٩]

(أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها).[٤٠]

فهذه التزكية وهي جد العبد واجتهاده في فعل الأوامر واجتناب النواهي هي التي أمر الله بها: فالإيمان بالله والأعمال الصالحة تشرح الصدر وتؤنسه، والتلوث بالشرك وبما يدنس التوحيد، وكذلك المعاصي ستفعل ضد ذلك قال ابن تيمية: (فالفاجر بارتكاب الفواحش دس نفسه؛ أي قمعها وخباها، وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها.

وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا تشتهر بذلك أنفسها، واللئام تنزل الأطراف والوديان.

فالبر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر بحيث يجد الإنسان في نفسه أنه اتسع وعظم عما كان عليه قبل ذلك. فإنه لما اتسع بالبر والتقوى والإحسان بسطه الله وشرح صدره، والفجور والبخل يقمع النفس ويصغرها، ويهينها بحيث يجد البخيل في نفسه أنه ضيق. وقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث الصحيح فقال: " مثل البخيل والمتصدق، كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه، حتى تغشي أنامله

---

(٣٦) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٧٧) بتصرف.

(٣٧) لسان العرب (٦/ ٨٢).

(٣٨) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٥٧).

(٣٩) المصدر السابق (٢٤/ ٤٥٨).

(٤٠) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص٩٢٦.)

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت، وأخذت كل حلقة مكانها " قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ، يقول: بإصبعه في جيبه «فلو رأيته يوسعها ولا توسع"(٤١))(٤٢)

وهذه التزكية لا تكون إلا بتوفيق من الله وإعانة منه للعبد، وعلى هذا يحمل قول ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

أما التزكية التي نهى الله عنها بقوله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩].

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢] فهذا النهي لمن أثنى على نفسه وبرأها من النقص والعيب والتقصير، ورأى أنها تستحق الإكرام من الله ونيل الثواب بدخول الجنة والنجاة من النار.

وذلك أن الثناء العام التام والمدح الكامل لا يكون إلا للخالق سبحانه فقد (أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه، وافتتح كتابه بحمده، ولم يأذن في ذلك لغيره، بل نهاهم عن ذلك في كتابه وعلى لسان نبيه عليه السلام).(٤٣)

فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]

(أتحصل لهم التزكية؟ الجواب: لا تحصل لهم التزكية، ولو كان كل من زكى نفسه حصل له التزكية لكان أخبث الناس يزكي نفسه، فالآن الذين يعبدون الأصنام، أو يعبدون البقر، أو يعبدون الأشجار يقولون: نحن على حق، فيزكون أنفسهم، لكن ترجع التزكية إلى الله، ولهذا أبطل الله هذه التزكية كلها)(٤٤)

---

(٤١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل، (٢/ ٧٠٨)، رقم الحديث (١٠٢١).

(٤٢) فصل في تزكية النفس (ص ١٩).

(٤٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (١/ ١٣٥)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة. ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

(٤٤) تفسير القرآن الكريم «سورة النساء»، محمد بن صالح العثيمين، (١/ ٣٩٢). دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وقد بين لنا ربنا سبحانه أن اليهود والنصارى قد زكوا أنفسهم في مواضع كثيرة من كتابه فقال عنهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] إلى غيرها من الآيات.

وقال سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] فهو الذي يزكي سبحانه وهو الذي يثني، يثني على عباده الذين أطاعوه كثنائه سبحانه على أنبيائه وعلى عباده الصالحين فقال عن أنبيائه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وأثنى على صحابة نبيه ﷺ ورضي عنهم فقال: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨] وقال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥- ٩٦] إلى غيرها من الآيات التي أثنى بها عليهم قبل عملهم وبعده.

فهذه التزكية لا تكون إلا لله كما قال سبحانه في آية النور ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١]

(فيزكي عزّ وجل من كان أهلًا للزكاء، سواء كان الزكاء بعد العمل أو قبل العمل، فمثال التزكية بعد العمل ما ذكرنا من الآيات، والتزكية قبل العمل أن يهب الله للإنسان العمل الصالح، فإنه كما أنه أعلم حيث يجعل رسالته، فهو يعلم حيث يجعل أثر هذه الرسالة، وهي الإيمان والعمل الصالح، فتزكية الله تزكية قبل العمل وتزكية بعده، وهو سبحانه يزكي من يشاء قبل العمل وبعده).(٤٥)

(٤٥) تفسير القرآن الكريم «سورة النساء»، محمد بن صالح العثيمين، (١/ ٣٩٤).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وقد وجه نبينا ﷺ أمته لمراعاة ذلك سواء بتغيير الأسماء التي توحي بالتزكية فحينما سميت زينب بنت أبي سلمة بَرَّةَ، قال رسول الله ﷺ: "لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم" فقالوا: بم نسميها؟ قال: "سموها زينب.")[٤٦]

وقال ﷺ: "إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب"[٤٧]

مدح رجل رجلا، عند النبي ﷺ، فقال: "ويحك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مرارا " إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا أحسبه، إن كان يعلم ذاك، كذا وكذا"[٤٨]:

(والمعنى فليقل أحسب أن فلانا كذا إن كان يحسب ذلك منه والله يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه ولا يقل أتيقن ولا أتحقق جازما بذلك)[٤٩]

(حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به، ولذلك تأول العلماء في الحديث الآخر احثوا في وجوه المداحين التراب أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل، .... وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي فقد مدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه ترابا).[٥٠] وإذا لم يخاف على ممدوح فتنة.

---

(٤٦) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما، (٣/ ١٦٨٧) رقم الحديث (٢١٤٢).

(٤٧) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، (٤/ ٢٢٩٧) رقم الحديث (٣٠٠٢).

(٤٨) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، (٤/ ٢٢٩٦) رقم الحديث (٣٠٠٠).

(٤٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١٠/ ٤٧٧)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٥٠) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٧٧) بتصرف يسير.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

ولا يزكى الإنسان نفسه إلا ما دعته الضرورة لذلك كنكاح أو تولي أمرا من أمور المسلمين، أو دفاعا عن نفسه ونحو ذلك، قال النووي: (ذكرَ محاسن نفسه ضربان: مذموم ; ومحبوب، فالمذمومُ: أن يذكرَه للافتخار وإظهار الارتفاع والتميّز على الأقران وشبه ذلك، والمحبوبُ: أن يكونَ فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمراً بمعروف، أو ناهياً عن منكر، أو ناصحاً أو مشيراً بمصلحة، أو معلماً، أو مؤدباً، أو واعظاً، أو مذكّراً، أو مُصلحاً بين اثنين، أو يَدفعُ عن نفسه شرّاً، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنَه ناوياً بذلك أن يكون هذا أقربَ إلى قَبول قوله واعتماد ما يذكُره، أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك، وقد جاء في هذا المعنى ما لا يحصى من النصوص).[٥١] ومن ذلك قول يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف: ٥٥] قال القرطبي: (دلت الآية أيضا على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل).[٥٢]

(٥١) الأذكار، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ص ٢٧٨، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٥٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢١٧).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

الفصل الأول: أنواع النفس في القرآن الكريم

النفس التي زود الله بها الإنسان هي نفس واحدة، وهي المخاطبة بالشرع وبالأمر والنهي، وإذا فارق الحياة الدنيا فهذه النفس قد قبضت، وهي التي ستحاسب في الآخرة.

ويختلف وصفها وحالتها على حسب قربها من خالقها أو بعدها، وعلى حسب ما وقر في القلب من خشية وإنابة ورغبة ورهبة ونحوها، أو على حسب تفريطها، أو لومها على التفريط او ضده، وبناء عليه فأنواع الأنفس ثلاث (فإنها واحدة باعتبار ذاتها، وثلاثة باعتبار صفاتها، فإذا اعتُبرت بنفسها فهي واحدة، وإن اعتُبرت مع كل صفة دون الأخرى فهي متعددة).(٥٣)

ووصفها الله في كتابه بثلاث صفات:

(١) **النفس المطمئنة** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧].

(٢) **النفس الأمارة** ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

(٣) **النفس اللوامة** ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ٢].

---

(٥٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (١٢٧/١)، تحقيق: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير – محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط: الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث الأول: النفس المطمئنة

النفس المطمئنة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يقول: المصدّقة).(٥٤)

قال مقاتل: (يعني المطمئنة بالإيمان).(٥٥)

قال مجاهد: (المنيبة المخبتة التي قد أيقنت أن الله ربها، وضربت لأمره جأشا).(٥٦)

فهذه النفس نفس محمودة يحبها الله، نفس سكنت واطمأنت إلى أمر ربها وخالقه، اطمأنت للإيمان به، ولتصديق رسله، ولتطبيق شرعه، ولتدبيره لشؤونها في الدنيا وأيقنت بوعده ووعيده في الدنيا الآخرة.

(وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذِكْره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذِكْره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحَسْبِه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها، وإلهها، ومعبودها، ومليكها، ومالك أمرها كلِّه، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عينٍ).(٥٧)

فهذه النفس هي التي أفلحت ونجت في الدنيا والآخرة وظفرت بالأمن التام في الدارين.

---

(٥٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٢٣).

(٥٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٩٢).

(٥٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٢٣).

(٥٧) إغاثة اللهفان (١/١٢٨).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث الثاني: النفس الأمارة بالسوء

النفس الأمارة ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣]

وهذه النفس مذمومة وهي نفس ساخطة قلقة نزاعة للشر مائلة إليه، وسميت أمارة (لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان).[٥٨] فوصفها الله بأنها أمّارة بالسوء (ولم يقل: آمرة؛ لكثرة ذلك منها، وأنه عادتها ودأبها إلا إذا رحمها الله، وجعلها زاكيةً تأمر صاحبها بالخير، فذلك من رحمة الله، لا منها، فإنها بذاتها أمارة بالسوء؛ لأنها خلقت في الأصل جاهلة ظالمة إلا من رحمه الله، والعلمُ والعدلُ طارئٌ عليها بإلهام ربِّها وفاطرها لها ذلك، فإذا لم يُلهِمْها رشدَها بقيتْ على ظلمها وجهلها، فلم تكن أمَّارة إلا بموجب الجهل والظلم، فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زَكَتْ منهم نفس واحدة).[٥٩]

وهذه النفس هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بالتعوذ من شرها صباح مساء حين سأله أبا بكر الصديق رضي الله عنه (قال: يا رسول الله! علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت. فقال: " يا أبا بكر! قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وَشِرْكِهِ، وأن أقترف على نفسي سوءا، أو أجره إلى مسلم"[٦٠]

إن الإنسان إذا وكل إلى نفسه هلك، وتسلط عليه الشيطان، وأتاه من كل باب، فثبطها عن الطاعات، فإن النفس تحب الراحة والدعة فإذا تركها وهواها (وركد وأخلد إلى نوازع الشهوات، فاشتدَّ إخلاده وركوده. وانغمس في غمار الشهوات،

---

(٥٨) تفسير السعدي (ص٤٠٠).

(٥٩) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٩).

(٦٠) صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، ص ٤٦٦، رقم الحديث (٩١٨)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

واستولت عليه العادات ومخالطةُ أهل البطالات، ورضي بالتشبُّه بأهل إضاعة الأوقات. فهو في رقاده مع النائمين، وفي سَكْرته مع المخمورين).[٦١] فهذا قد خسر الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: النفس اللَّوَّامَة

النفس اللوامة ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ٢]

وهذه النفس بين النفسين (المطمئنة والأمارة) فتارة تمدح وتارة تذم، فهي لوامة: تلوم صاحبها.

و(هي النّفس التي اكتسبت بعض الفضيلة، فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروها، فهي دون النّفس المطمئنة).[٦٢]

قال سعيد بن جبير وعكرمة في النفس اللوامة: (تلوم على الخير والشرّ).[٦٣]

وقال مجاهد: (تندم على ما فات وتلوم عليه).[٦٤]

وقال الحسن: (هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه).[٦٥]

قال ابن جرير: (وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشرّ وتندم على ما فات).[٦٦]

---

(٦١) الروح، ابن القيم (٢/ ٦٣٢).

(٦٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ص٧٥١)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى – ١٤١٢ هـ

(٦٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩).

(٦٤) المصدر السابق (٢٤/ ٥٠).

(٦٥) الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٣).

(٦٦) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٠).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

أما يوم القيامة فهذا متحقق لا خلاف فيه فكل نفس مؤمنة كانت أم كافرة تلوم نفسها، قال الفراء: (ليس من نفس بَرّة ولا فاجرة إلّا وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيرًا قالت: هلا ازددت وإن كانت عملت سوءا قالت: ليتني قصرت! ليتني لم أفعل!)(٦٧)

وبعد ذكر هذه الأنواع الثلاثة للنفس فإن نفس الإنسان (قد تكون تارة أمّارةً، وتارة لوامةً، وتارة مطمئنةً، بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها هذا وهذا وهذا، والحكم للغالب عليها من أحوالها، فكونها مطمئنةً وصفُ مدحٍ لها، وكونها أمّارةً بالسوء وصفُ ذمٍّ لها، وكونها لوامةً ينقسم إلى المدح والذم، بحسب ما تلوم عليه).(٦٨)

والإنسان يشعر بذلك، يرى أحيانا من نفسه رغبة في الخير وحبا له فهذه النفس المطمئنة، وأحيانا تتغلب عليه نفسه ويتسلط الشيطان ونزعات الهوى فيفعل السوء أو يقصر في واجب، ثم تأتي اللوامة فتلومه على خير فرط به، أو شر فعله، أو لوامة تلومه على فعل خير أو تفويت شهوة لو فعلها لكتبت عليه سيئة، والموفق من حفظه الله وهداه وأعانه.

---

(٦٧) معاني القرآن، للفراء، (٢٠٨/٣).

(٦٨) إغاثة اللهفان (١/ ١٣١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

الفصل الثاني: وسائل إصلاح النفس

الوسائل جمع وسيلة وهي: (ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به).[٦٩] وهي إجراء يتخذه العبد ليحقق به غاية معينة، وغايته هنا وهدفه هي إصلاح نفسه وتقويمها، ولم يتركنا اللطيف الخبير نتخبط لإصلاح أنفسنا، فالقرآن الكريم منهج حياة من خصائصه أنه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] قال ابن مسعود رضي الله عنه: (أنزل في هذا القرآن كل علم وكلّ شيء قد بين لنا في القرآن. ثم تلا هذه الآية).[٧٠]، وقد رسمت سورة الأعلى ووضحت منهج تزكية النفس بآيتين كريمتين قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤ –١٥] فبينت الآية كيف يكون إصلاح النفس:

(١) تطهير النفس مما يدنسها ويلوثها. وذلك بقوله سبحانه: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ فإذا طهرها سكنت وأشرقت بنور ربها وأقبلت عليه.

(٢) ذكر الله عزو وجل. وذكره يكون بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب يعظم الله وينيب ويخشع ويخاف ويرغب ويرهب إلى غيرها من العبادات القلبية. وذلك بقوله سبحانه: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ فإذا ذكر الله وعظمه، عظم في نفسه أمره ونهيه.

(٣) تنميتها بالأعمال التي تقربها إلى خالقها، فالقلب يعظم، واللسان يذكر، وبقية الجوارح تطيع وتخضع وتعمل، وذلك بقوله سبحانه: ﴿رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ وذكر الصلاة لأنها أصل الأعمال ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] (وقد رتبت هذه الخصال الثلاث على الآية على ترتيب تولدها. فأصلها: إزالة الخباثة النفسية من عقائد باطلة وحديث النفس بالمضمرات الفاسدة وهو المشار إليه بقوله: ﴿تَزَكَّىٰ﴾، ثم استحضار معرفة الله

---

(٦٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، (٥/ ١٨٥)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٧٠) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٩).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

بصفات كماله وحكمته ليخافه ويرجوه وهو المشار بقوله: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ ثم الإقبال على طاعته وعبادته وهو المشار إليه بقوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ والصلاة تشير إلى العبادة وهي في ذاتها طاعة وامتثال يأتي بعده ما يشرع من الأعمال).[٧١]

المبحث الأول: استشعار عظمة الله ومراقبته

قال سبحانه: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح: ١٣].

عن ابن عباس ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ يقول: عظمة[٧٢].

عن مجاهد ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ (قال: لا ترون لله عظمة[٧٣].

فالتوقير: (هو التعظيم والإجلال والتفخيم)[٧٤].

وما تجرأ من أشرك وجحد إلا لغياب هذا التعظيم عن قلبه، ولا يتم تعظيم الله عز وجل إلا بمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة آلائه ونعمه ومنه ولطفه، (فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمّاً وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته).[٧٥] فمن كان بالله أعرف كانت نفسه مقبلة عليه معظمة له، وأصل ذلك توحيد الله عز وجل، فما أرسل الرسل ولا أنزلت الكتب ولا قام سوق الجنة

---

(٧١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٨).

(٧٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٤).

(٧٣) المصدر السابق (٢٣/ ٦٣٤).

(٧٤) المصدر السابق (٢٢/٢٠٨).

(٧٥) مدارج السالكين في منازل السائرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (٣١٩/٣)، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط: الثانية، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

والنار إلا من أجل توحيد الله وتعظيمه، فهي دعوة إبراهيم لهذه الأمة ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

قال ابن جرير: (فمعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ في هذا الموضع: ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وينميهم ويكثرهم بطاعة الله).(٧٦)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يعني بالزكاة، طاعة الله والإخلاص).(٧٧)

وقال ابن جريج: (يطهرهم من الشرك، ويخلصهم منه).(٧٨)

وهي فضل من الله ومنة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] فالتوحيد أصل دعوة الرسل، وهو (أعظم ما تزكو به النفس والشرك أعظم ما يدسيها).(٧٩) وما ضل من ضل ولا هلك من هلك إلا لأن نفسه لم تعظم الله عز وجل ولم تتعرف إلى خالقها ولم توحده وتعبده حق عبادته.

---

(٧٦) تفسير الطبري (٨٨/٣).

(٧٧) المصدر السابق (٨٨/٣).

(٧٨) تفسير الطبري (٨٨/٣).

(٧٩) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٣٢) بتصرف يسير.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾ [فصلت: ٦-٧] والزكاة هنا (هي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وإثبات إلهية الحق في القلب، وهو حقيقة لا إله إلا الله. وهذا أصل ما تزكو به القلوب)[٨٠] فإن أصل الدين تعظيم الله عز وجل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في (الزكاة) في هذه الآية: (يعني: الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله).[٨١]

وقال ابن كثير: (والمراد بالزكاة هاهنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه، وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات)[٨٢]

ومن لوازم تعظيم الله أن يعبده حق عبادته وأن يعبده بما شرع، وإثبات ماله من نعوت الجلال والكمال على الوجه الذي يليق بعظمته دون تحريف أو تمثيل أو تشبيه، فكل من أدخل النار دخولا أبديا، (فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾ [الحاقة: ٣٣] بأن كان كافرا بربه معاندا لرسله رادا ما جاءوا به من الحق).[٨٣]

ومن دخلها من الموحدين بمقدار ما يتطهر به من ذنبه فقد غاب عنه تعظيم الله بقدر إثمه وخطيئته.

ومن تعظيم الله تعظيم أنبيائه ورسله وما جاؤوا به من عند الله ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨- ٩] (فالتوقير: هو التعظيم)[٨٤]

---

(٨٠) المصدر السابق (١٠/ ٩٧).

(٨١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (٧/ ١٦٤)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٨٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٦٤).

(٨٣) تفسير السعدي، (ص٨٨٤).

(٨٤) تفسير الطبري (١٠/ ١٢١)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وبالجملة من عظم الله عظم كتابه، وشرعه وإقامة حدوده وشعائره ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢] (والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها...فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله)(٨٥)

فمن عظم الله عظم شعائره، وأصبحت نفسه مطواعة له في تنفيذ أمر الله ونهيه، بل ستسعى في مراضيه ومحابه.

ومن عظمة الله أنه لم يخلق هذا الكون عبثا، بل خلقه لهدف وهو عبادته فخلق الجن والإنس لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وسخر للعباد الكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣] وما من شيء في هذا الكون إلا يسبح ويسجد لهذا العظيم سبحانه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ [الحج: ١٨].

ومن عظمته أنه يثيب ويعاقب يثيب من أطاعه واتبع هداه بجنته، ويعاقب من جحده وأعرض عن مولاه بالنار.

فمن حق المنعم المتفضل عليك بالإيجاد من العدم، ومن أسبغ عليك من صنوف النعم أن تعبده وحده وتشكره لذا وجه ربنا سبحانه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يعظ فرعون بذلك ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النازعات: ١٨] (أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح).(٨٦) (ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله

(٨٥) تفسير السعدي (ص٥٣٨).

(٨٦) المصدر السابق (ص٩٠٩).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

كل عقل سليم ولم يقل " أزكيك " بل قال " تزكى " أنت بنفسك ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها).[٨٧]

قال ابن القيم: (ومن وقار الله أن يستحيي من اطلاعه على سِرِّه وضميره فيرى فيه ما يكره.

ومن وقاره أن يستحيي منه في الخلوة أعظم مما يستحيي من أكابر الناس...ولا يُعطي المخلوق في مخاطبته قلبَه ولبَّه ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدمًا على مراد ربه، فهذا كله من عدم وقار الله في القلب).[٨٨]

فتعظيم الله من أقوى الأدوية لصلاح النفس، وهو أصل لما بعده من وسائل إصلاحها.

وعلى قدر ضعف هذا التعظيم تضعف النفس وتمرض وقد تهلك إذا لم يتداركها صاحبها.

---

(٨٧) المصدر السابق (ص٥٠٦).

(٨٨) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ص ٢٧٤)، تحقيق: محمد عزير شمس، راجعه: جديع بن محمد الجديع – محمد أجمل الإصلاحي – علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط: الرابعة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث الثاني: قراءة القرآن وتدبره

النفس البشرية لا يعرف مداخلها وما يصلح لها وما يفسدها إلا خالقها سبحانه، ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٤] فهي بحاجة إلى معرفة خالقها وصفاته وأسمائه، ولماذا خلقت، وما واجبها تجاه من خلقها وأسبغ عليها النعم ظاهرة وباطنة، وكيف تعبده، وما مصيراها بعد الموت؟

كل هذا لن تجد له إجابة شافية تصح بها تلك النفس، وتقوى على سيرها، ويكون به نجاتها إلا بكلام خالقها الذي أنزله، فهو العليم بها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] (فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا والغيوب).[٨٩]

ولو ابتغت الهدى في غير كتاب ربها لضلت وهلكت، شأنها شأن أي آلة يصنعها العبد الضعيف – (ولله المثل الأعلى) – فلو صنع آلة مخصصة لصنع شيء ما، فإنه يدرج معها كتابا يبين كيفية استخدامها، وطرق إصلاحها، وتجنب فسادها، فلو خالف من اقتناها تعاليم الشركة المصنعة لتعجل عطبها، ووضعها في أمر لم تصنع له ففسدت.

وكذلك سوف يكون (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن وإطالة التأمُّل له، وجمع الفكر على معاني آياته).[٩٠] فرتب الأجور العظيمة على قراءته، وجعل من تعلم القرآن وعلمه من خير الناس.

عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.[٩١]

---

(٨٩) تفسير السعدي (ص٨٧٦).

(٩٠) مدارج السالكين (٢/ ٨٤).

(٩١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. المشهور بصحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، كتاب فضائل لقرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (٦/ ١٩٢)، رقم الحديث (٥٠٢٧)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

ومن المعلوم أن المقصود من قراءته فهمه وتدبره والعمل به، لا مجرد ترديد حروفه دون فهم معانيه والعمل بها، لذا حضهم اللطيف الخبير على قراءته وتدبره والعمل به في غير ما موضع من القرآن العظيم:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

(والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرا انكشفت له معان لم تكن بادية له بادىء النظر).[٩٢] فالله يحب منا أن نتفهم القرآن ونتدبره قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢] (وعقل الكلام متضمن لفهمه. ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك، وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟)[٩٣]

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن).[٩٤] ومن سمات كلام الله أنه مبارك (والمبارك: المنبثة فيه البركة وهي الخير الكثير، وكل آيات القرآن مبارك فيها لأنها: إما مرشدة إلى خير، وإما صارفة عن شر وفساد، وذلك سبب الخير في العاجل والآجل ولا بركة أعظم من ذلك)[٩٥]

---

(٩٢) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٢)

(٩٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٢).

(٩٤) تفسير الطبري (١/ ٨٠).

(٩٥) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥١)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

فإن آيات الله لمن تلاها وتأمل فيها تدله على خالقه وصفاته وعظيم قدرته سبحانه، ومن أي مادة خلقه، وما الهدف من خلقه، ومن هو أبو البشر، وما هو طريقهم في هذه الحياة، ومن هم أعدائهم، وتكشف مخططاتهم ومكرهم، وكيف يتحصن منها العبد ويتقيها، وتعرض عليه الأمم الغابرة ونداء الأنبياء فيهم، ومصيرهم حينما كذبوا وعصوا، وأخذ العظة والعبرة من قصصهم، وما طريق أهل السعادة، وما طريق أهل الشقاوة، وما الزاد الذي ينبغي على العبد أن يتزود به، وما العمل الذي ينفعه وما الذي يضره؟ وكيف يثبت إيمانه، وما المفر من المفتن، ومن هم قطاع الطريق إلى الله، وخطوات الشيطان وكيف يحذرها، وهل هو مخلد في هذه الحياة؟ أم لها نهاية، وماذا بعد الموت؟ وتبين له أن هناك عرض وحساب يتبعه ثواب أو عقاب، وأن النهاية إما إلى جنة أو نار، وبعدها خلود فلا موت.

(وبالجملة تعرِّفه الربَّ المدعوَّ إليه، وطريقَ الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرِّفه في مقابل ذلك ثلاثةً أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، «فهذه ستَّة أمورٍ ضروريَّة للعبد معرفتُها. ومشاهدتُها ومطالعتُها تُشهده الآخرة حتى كأنَّه فيها، وتغيِّبه عن الدُّنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميِّز له بين الحقِّ والباطل في كلِّ ما اختَلَف فيه العالَم، فتريه الحقّ حقًّا والباطل باطلًا، وتعطيه فرقانًا ونورًا يفرِّق به بين الهدى والضلال والغيِّ والرَّشاد، وتعطيه قوَّةً في قلبه وحياةً وسعةً وانشراحًا وبهجةً وسرورًا، فيَصير في شأنٍ والناس في شأنٍ آخر).[٩٦]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]).[٩٧]

(فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن؛ تبين له المُراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج).[٩٨]

---

(٩٦) مدارج السالكين (٢/ ٨٤).

(٩٧) تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٩).

(٩٨) مجموع الفتاوى (١٥/ ٩٤).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربّه بالوعد الجميل، وتحذّره وتخوّفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتحثُّه على التضمُّر والتخفُّف للقاء اليوم الثقيل، وتَهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصدُّه عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النِّعم بشكر ربِّه الجليل، وتبصِّره بحدود الحلال والحرام وتَقِفُه عليها لئلَّا يتعدَّاها فيقع في العناء الطَّويل، وتثبِّت قلبه عن الزيغ والميل عن الحقِّ والتّحويل، وتسهِّل عليه الأمور الصِّعاب والعقبات الشاقَّة غاية التسهيل، وتناديه كلَّما فترت عزماتُه ووني في سيره: تقدَّم الرَّكب وفاتك، فاللَّحاق اللَّحاق، والرحيل الرحيل! وتحدو به وتسير أمامه سيرَ الدليل، وكلَّما خرج عليه كمينٌ من كمائن العدوِّ أو قاطعٌ من قطّاع الطّريق نادَتْه: الحذر الحذر! فاعتصِمْ بالله واستعن به وقُل: حسبي الله ونعم الوكيل).[٩٩]

المبحث الثالث: تقوى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه

التقوى من ((وقى) الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره. ووقيته أقيه وقيا. والوقاية: ما يقي الشيء. واتق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية).[١٠٠]

(والتقوى اسم جامع لطاعة الله، والعمل بها فيما أمر به ونهى عنه، فإذا انتهى المؤمن عما نهاه الله، وعمل بما أمره الله، فقد أطاع الله واتقاه).[١٠١]

فالمتقي يجعل بينه وبين عذاب الله حاجزا وحجابا، وقد فاض القرآن الكريم بذكر التقوى فأمرنا الله أن نجعلها زادا، ولباسا، وأساس كل عمل لنا، وجعل القرآن هدى للمتقين، والعاقبة لهم في الدنيا والآخرة، ولهم الفوقية فوق عباده يوم القيامة. فقال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

---

(٩٩) مدارج السالكين (٢/ ٨٦).

(١٠٠) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٣١).

(١٠١) المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، (٧/ ٥٩٠)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(وجعل اللباس لكل ما يغطي من الإنسان عن قبيح).[١٠٢] (وأصل اللبس: ستر الشيء).[١٠٣]

قال ابن عباس رضي الله عنهما معرفا المتقين: (المؤمنين الذين يتَّقُون الشِّرك بي، ويعملون بطاعتي).[١٠٤]

وقال أيضا: (لباس التقوى: العمل الصالح).[١٠٥] وعنه أيضا: (السمت الحسن في الوجه).[١٠٦] ولا تعارض بينها فلباس التقوى (من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح).[١٠٧]

(﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، استشعار النفوس تقوى الله، في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه، والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع الإيمان، والعمل الصالح، والحياء، وخشية الله، والسمتَ الحسن، لأن مَنْ اتقى الله كان به مؤمنًا، وبما أمره به عاملا ومنه خائفًا، وله مراقبًا، ومن أن يُرَى عند ما يكرهه من عباده مستحييًا. ومَنْ كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سَمْته وهَدْيه، ورُئِيَتْ عليه بهجة الإيمان ونوره).[١٠٨]

والأوامر والنواهي التي خوطب بها العباد إنما ينفع بها صاحبه نفسه ويطهرها، لا لأن الله يستغني بها من فقر، ولا ليتقوى بها من ضعف، حاشاه سبحانه، ولا ليشقيهم بتلك التكاليف، حاشاه سبحانه ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧] (أي منفعة له في عذابكم إن شكرتم وآمنتم، فنبه تعالى أنه لا

---

(١٠٢) المفردات في غريب القرآن (ص٧٣٤).

(١٠٣) المصدر السابق (ص٧٣٥).

(١٠٤) تفسير الطبري (١/ ٢٣٣)

(١٠٥) المصدر السابق (١٢/ ٣٦٧)

(١٠٦) المصدر السابق (١٢/ ٣٦٧)

(١٠٧) تفسير السعدي (ص ٢٨٦).

(١٠٨) تفسير الطبري (١٢/ ٣٧١)

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

يعذب الشاكر المؤمن، وأن تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه).[١٠٩] بل جعل اللطيف الخبير أثر الامتثال لذلك الأمر أو النهي تقوى القلب وزكاة النفس وطهارتها، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢] قال ابن جرير: (فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده).[١١٠]

وقال سبحانه: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

(المعنى أنه ليس المقصود إراقة الدم ولا تفرقة اللحم وإنما المقصود إذعان الخلق إلى الطاعة وامتثالهم ما لا تهتدي إليه عقولهم قياماً بحق الربوبية وتقية من عقوبة العبودية).[١١١]

وفي سورة البقرة بعد أن ذكر شأن من شؤون الأسرة، وهو النهي عن عضل النساء وحبسهن ومنعهن من الرجوع لأزواجهن إذا تقدموا لخطبتهن بعد الطلاق قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ (المشار إليه ما سبق من الأحكام... ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي في أعمالكم، ونموها، وكثرتها؛ لأنكم إذا اتعظتم بذلك أطعتم الله، ورسوله، فزادت الأعمال، وزاد الإيمان؛ لأن الإيمان يزداد بامتثال الأمر، واجتناب النهي لله عزّ وجلّ؛ و﴿وَأَطْهَرُ ۗ﴾ أي أشد طهراً يعني من الذنوب).[١١٢]

---

(١٠٩) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٤٢٦).

(١١٠) تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٣)

(١١١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، (٥٧٣)، تحقيق: د. محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ١٩٩٢ م

(١١٢) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، (١/ ١٣٧) بتصرف يسير. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى١٤٢٣هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وعند أمره سبحانه بغض البصر وحفظ الفرج وجه أن ذلك أزكى للعبد فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠] (فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن).[١١٣]

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: ١٨] (ومن تزكى أي: تطهر من الشرك والفواحش، وفعل الخير فإنما يتزكى لنفسه أي: فصلاحه لنفسه وإلى الله المصير فيجزي بالأعمال).[١١٤]

فيؤدي العبد الفرائض ويحافظ عليها ويتفقد ما فيها من نقص فيقومه، ويتبع هدي النبي ﷺ فيها، فإذا استقامت نفسه عليها، التفت إلى النوافل في كل شيء من صلاة وزكاة وغيرها، ويحفظ لسانه وجميع جوارحه من كل ما يغضب ربه، ويشغلها بطاعته، فإنه متى فعل ذلك أحبه الله، وأصبح وليه ومولاه، وقربه ومن كل دنس ورجس أعاذه ووقاه (قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).[١١٥]

فـ(تطبيق الأحكام أطهر للإنسان؛ يعني أطهر للقلب؛ لأن الأعمال الصالحة تطهر القلب من أرجاس المعاصي؛ ولذلك تجد عند الإنسان المؤمن من الحيوية، والنشاط، والسرور، والفرح ما ليس عند غيره؛ ويعرف ذلك في وجهه؛ فالإنسان صاحب

---

(١١٣) تفسير السعدي (ص ٥٦٦).

(١١٤) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (٣/ ٥٠٩)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(١١٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (٨/ ١٠٥) رقم الحديث: (٦٥٠٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المعاصي مظلم الوجه كاسف البال؛ ولو فرح بما فرح من زهرة الدنيا فهو فرح خاسر؛ لكن المؤمن الذي شرح الله صدره للإسلام، وامتلأ قلبه بنور الله وهدايته، ليس كذلك؛ وأسعد الناس في الدنيا أطهرهم قلباً).(١١٦)

المبحث الرابع: التحلي بالفضائل وترك الرذائل من الأخلاق

من المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها تهذيب الأخلاق، لما لذلك من الأهمية في صلاح الفرد والمجتمع.

و(الخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد، ...لكن خصّ الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصّور المدركة بالبصر، وخصّ الخُلْقُ بالقوى والسّجايا المدركة بالبصيرة).(١١٧)

للإنسان هيئتان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة (الخَلْقُ) هي التي يراها الناس، كلون بشرته وشكل وجهه وأنفه وجميع أعضائه وهذه لا حيلة للعبد فيها وليست هي المعنية بهذا المبحث، والباطنة (الخُلْقُ) (بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية).(١١٨) وهي التي سيدور عليها الحديث.

(الخُلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا).(١١٩)

---

(١١٦) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، (١/ ١٤١).

(١١٧) المفردات في غريب القرآن (ص٢٩٧).

(١١٨) لسان العرب (١٠/ ٨٦).

(١١٩) التعريفات (ص١٠١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة).(١٢٠) والجزاء والحساب والثواب والعقاب يتعلق بهذه الصورة الباطنة، إن خيرا فخير، وإن شرا فلا يلومن إلا نفسه.

وهي كامنة في النفس تظهر على صاحبها من خلال تصرفاته، وطريقة حديثه وانتقائه لعباراته، وأكله وشربه، وتعامله مع أهله وجيرانه وأقاربه، وفي شأنه كله.

وجاءت النصوص من الكتاب والسنة المرغبة في حسن الخلق برفع درجة أصحابها وتثقيل موازينهم وقرب منازلهم من نبيهم ﷺ يوم القيامة.

فبعد أن ذكر سبحانه ثلة من الأنبياء في سورة الأنعام قال لنبيه ﷺ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] (وأمر النبي ﷺ بالاقتداء بهداهم يؤذن بأن الله زوى إليه كل فضيلة من فضائلهم التي اختص كل واحد بها سواء ما اتفق منه واتحد، أو اختلف وافترق، فإنما يقتدى بما أطلعه الله عليه من فضائل الرسل وسيرهم، وهو الخلق الموصوف بالعظيم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]).(١٢١)

وبعد أن ذكر سبحانه جملة من الصفات لعباده وحسن أخلاقهم وصبرهم في عدة مواضع من القرآن ختم ذلك بالجزاء الواسع منه سبحانه فقال في سورة آل عمران ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦] وفي آخر سورة الفرقان قال بعد ذكره سبحانه أخلاق عباد الرحمن قال: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٧٥- ٧٦] إلى غيرها من الآيات.

---

(١٢٠) لسان العرب (١٠/ ٨٦).

(١٢١) التحرير والتنوير (٧/ ٣٥٦).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وقال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق."(١٢٢)

والناس يتفاوتون ف أخلاقهم فهي رزق من الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب).(١٢٣)

وكان عليه الصلاة والسلام يرغب في حسن الخلق ويحث عليه قال:" أخبركم بأحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟ "، فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثا. قال القوم: نعم يا رسول الله! قال: "أحسنكم خلقا"(١٢٤)

وبين أنها أثقل شيء في الميزان يوم القيامة فقال: "ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق"(١٢٥)

وقال ﷺ: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه، درجة القائم بالليل"(١٢٦).

والأخلاق منها ما هو:

(١) جبلي مفطور عليها العبد، دل عليه حديث أشج عبد القيس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "إن فيك لخلقين يحبهما الله" قلت: وما هما يا رسول الله؟ قال: "الحلم، والحياء"، قلت: قديما أو حديثا؟ قال: "قديما". قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلقين أحبهما الله).(١٢٧)

---

(١٢٢) صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق، (ص١١٧)، رقم الحديث (٢٧٣).

(١٢٣) صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق، (ص١١٩)، رقم الحديث (٢٧٥)، وقال الألباني: (صحيح موقوف في حكم المرفوع).

(١٢٤) صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق، (ص١١٨)، رقم الحديث (٢٠٦).

(١٢٥) صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق، (ص١١٧)، رقم الحديث (٢٧٠).

(١٢٦) صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق إذا فقهوا، (ص١٢٢)، رقم الحديث (٢٨٤).

(١٢٧) صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق، (ص٢١٩)، رقم الحديث (٤٥٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(٢) ومنها ما هو مكتسب، يستطيع العبد بعد عون الله أن يتخلق به، إذا ريض نفسه على ذلك وتدرب على الأخذ به إن كان حسنا، أو الكف عنه دل عليه قوله ﷺ: "ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر.")[١٢٨]

وهي تنقسم بحسب مُتعلَّقها إلى:

- أخلاق مع الله عز وجل.
- أخلاق مع الناس.
- أخلاق مع النفس.
- أخلاق مع باقي المخلوقات من طير وحيوان ونبات وغيره.

ونبينا ﷺ له القدح المعلى، وفيه الحسن تجلى، وهو بجميل الأخلاق أولى، قال عنه ربنا سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وأكد ذلك بالواو إن التوكيد و(على) التي تفيد الاستعلاء، وأنه متمكن من ذلك الخلق. (والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ﷺ فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن).[١٢٩]

يعرف ذلك منه من رآه لأول وهلة، لما رآه أخو أبي ذر رضي الله عنهما حينما بعثه أبو ذر ليستطلع أمر النبي ﷺ عاد إليه (فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق).[١٣٠] ، وحينما سأل سعد بن هشام وهو أحد التابعين أمنا عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقال: (يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟، قالت: "ألست تقرأ القرآن؟" قلت: بلى، قالت:

---

(١٢٨) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (٢/ ١٢٢) رقم الحديث: (١٤٦٩).

(١٢٩) التحرير والتنوير (٢٩/ ٦٤).

(١٣٠) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، (٥/ ٤٧) رقم الحديث: (٣٨٦١).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

"فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن.")[١٣١] أي كان مطبقا لكل ما في القرآن من خلق مع الله، أو البشر، أو النبات والحيوان، بل حتى الجماد والحجر[١٣٢].

إن التحلي بالفضائل وتجنب الرذائل مؤشر قوي يدل على صلاح النفس وزكاتها، و(الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرمًا، حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً، وهو أصل عام في الفقه، وسائر الأحكام العاديات، والتجريبيات، بل الالتفات إليهما من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جداً).[١٣٣] وهذا ما ذكره عليه الصلاة والسلام حيث قال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب."[١٣٤] فعلى العبد أن يدرب نفسه على التخلق بالحسن إن لم يكن فيه، أو أن يكف عن السيء إن كان متلبسا به، حتى يصبح له طبعا وسجية (فخلق المرء مجموع غرائز (أي طبائع نفسية) مؤتلفة من انطباع فكري: إما جبلي في أصل خلقته، وإما كسبي ناشيء عن تمرن الفكر عليه وتقلده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نافعه أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد. وينبغي أن يسمى اختيارا من قول أو عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يحبه ويقتدي به ويسمى تقليدا، ومحاولته تسمى تخلقا...فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها، ولو رام حمل نفسه على عدم العمل بما تمليه سجيته لاستصغر نفسه وإرادته وحقر رأيه. وقد يتغير الخلق تغييرا تدريجيا بسبب تجربة انجرار مضرة من داعيه، أو بسبب خوف عاقبة سيئة من جرائه بتحذير من هو قدوة عنده لاعتقاد نصحه أو لخوف عقابه. وأول ذلك هو المواعظ الدينية).[١٣٥] وعليه أن يستعين بالله في ذلك فبعد أن ذكر سبحانه آداب الاستئذان ووجه من استأذن ولم يؤذن له بل قيل له ارجع فعليه ألا يأنف من ذلك فليرجع، ولأن هذا شاق على

---

(١٣١) «صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض (١/ ٥١٢) رقم الحديث (٧٤٦).

(١٣٢) وذكر النصوص في ذلك يطول ويكفي من القلادة ما أحاط العنق.

(١٣٣) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، (١/ ٣٦٧)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(١٣٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (١/ ٢٠) رقم الحديث: (٥٢).

(١٣٥) التحرير والتنوير (١٩/ ١٧٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

النفوس جاء بجملة تطيب بها نفس من قيل له ذلك ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨] (أي: أشد لتطهيركم من السيئات، وتنميتكم بالحسنات»)[١٣٦] فبدل أن يحمل في نفسه على أخيه الذي قال له ارجع، فإن نفسه تطيب إذا سمعت بهذا التوجيه، عن قتادة قال: (قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها، أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾)[١٣٧]

وبعد أن ذكر سبحانه جملة من الآداب في سورة النور في حفظ اللسان وحسن الظن، والذب عن أعراض الناس وغيرها وجه نداءه للمؤمنين وحذرهم من اتباع طريق الشيطان قال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور: ٢١] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه).[١٣٨] فالعبد ضعيف إن لم يعنه الله، وكان من دعائه ﷺ في قيام الليل حين يستفتح صلاته "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت."[١٣٩]

---

(١٣٦) تفسير السعدي، (ص٥٦٥).

(١٣٧) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٠).

(١٣٨) المصدر السابق (١٩/ ١٣٥).

(١٣٩) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤) رقم الحديث (٧٧١).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث الخامس: محاسبة النفس ومجاهدتها عن اتباع الهوى

(المحاسبة: أن ينظر في رأس المال، وفى الربح، وفى الخسران لتتبين له الزيادة من النقصان).(١٤٠)

(والاحتسابُ على النفس في وقت خاصٍّ أنها وفتْ أم لا هي المحَاسَبَةُ).(١٤١)

و(الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع).(١٤٢)

(وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل وإلى المشرب ما شرب وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه. فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي. فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار).(١٤٣)

وقد يمدح الهوى إذا كان على هدى قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] قال ابن عاشور: «فبين أن الهوى قد يكون محمودا إذا كان هوى المرء عن هدى).(١٤٤)

فلو تأمل العبد في الهدف من وجوده في هذه الحياة لوجد أنه العبادة، وقد فصل لنا الرحمن الرحيم ما أحل وما حرم، وبينهما أمور مشتبهات، "فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام"(١٤٥)

---

(١٤٠) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، (ص٣٧٤)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

(١٤١) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ص ٢٠٦، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(١٤٢) التعريفات (ص٢٥٧).

(١٤٣) ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص ١٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي.

(١٤٤) التحرير والتنوير (١/ ١٢٠).

(١٤٥) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (٣/ ١٢١٩) رقم الحديث (١٥٩٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وحذرنا الجليل سبحانه في مواضع عدة من كتابه من اتباع هوى النفس وما تأمر به إذا خالفت الشرع وأنها داعية للطغيان وتجاوز الحدود فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩] وأمرنا بمخالفتها وتأديبها ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١].

(فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو العبد إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة والى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء).(١٤٦)

ولو لم يكن لمخالفة الهوى إلا هذه الفائدة لكفت وهو أنه يقود إلى الجنة كما في الآية السابقة.

وقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣] (أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه، كان دينه ومذهبه).(١٤٧)

وكما أن من تقرب إلى الله بأداء الفرائض وحرص عليها، هدي إلى أداء النوافل وإتمامها، حتى يثمر ذلك حفظ الجوارح جميعها(١٤٨) بالمقابل من اتبع هواه ولم يجاهد نفسه عمي وضل، وختم على جوارحه قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] (﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ الرجل الضال الذي ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فما هواه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ فلا يسمع ما ينفعه، ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يعي الخير ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ تمنعه من نظر الحق، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح

(١٤٦) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١٢٦).

(١٤٧) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٣).

(١٤٨) مضى ذلك معنا في المبحث الثالث من هذا الفصل.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه).(١٤٩)

وحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله هؤلاء (السبعة اختلفت أعمالهم فِي الصورة، وجمعها معنى واحد، وَهُوَ مجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها، وذلك يحتاج أولاً إلى رياضة شديدة، وصبر عَلَى الامتناع مِمَّا يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطمع، وفي تجشم ذَلِكَ مشقة شديدة عَلَى النفس، ويحصل لها بِهِ تألم عظيم، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عِنْدَ هيجانها إذا لَمْ يطفء ببلوغ الغرض من ذَلِكَ، فلا جرم كَانَ ثواب الصبر عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إذا اشتد الحر فِي الموقف، ولم يكن للناس ظل يظلهم ويقيهم حر الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة فِي ظل الله – عز وجل –، فَلَمْ يجدوا لحر الموقف ألماً جزاءً لصبرهم عَلَى حر نار الشهوة أو الغضب فِي الدنيا).(١٥٠)

فالنفس تحتاج إلى جهاد و(المجاهدة: في اللغة المحاربة، وفي الشرع: محاربة النفس الأمَّارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع).(١٥١) وهو بذل الوسع والطاقة في تأديب النفس بأدآب الشرع أمرا ونهيا، ووعد الله من جاهد وأحسن في إلزام نفسه بما أمر الله أن يعينه وييسر له مطلوبه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] (والخبر مؤكد بثلاث مؤكدات: القسم واللام ونون التوكيد.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي: بذلوا الجهد للوصول إلى الغاية، هذا هو الجهاد: بذل الجهد للوصول إلى الغاية.

وقوله: ﴿فِينَا﴾ في حقنا: أي: في دين الله عز وجل، وفيما يجب له سبحانه وتعالى وفي بيان شريعته عز وجل).(١٥٢)

---

(١٤٩) تفسير السعدي ص ٧٧٧.

(١٥٠) فتح الباري لابن رجب، (٦/ ٤٦).

(١٥١) التعريفات (ص٢٠٤).

(١٥٢) تفسير القرآن الكريم «سورة العنكبوت»، محمد بن صالح العثيمين، (ص٤١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ (والهداية: الإرشاد والتوفيق بالتيسير القلبي والإرشاد الشرعي).(١٥٣)

والمعية هنا معية (بالعون والنصر والهداية).(١٥٤)

والنفس مثل الطفل تحتاج إلى فطام وتدريب، فتفطم عما يضرها، وتدرب على ما ينفعها حتى يشتد عودها وتألف الطاعات، فرأس مال العبد وقته وقلبه وتوحيده وطاعاته، وحفظ جوارحه، فوقته هو عمره الذي قدر له في هذه الحياة، فإن لم يستثمره تحققت خسارته، وقد أقسم الله بأن الإنسان خاسر إن لم يفعل ذلك فقال سبحانه:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١- ٣].

فبينت هذه السورة أن الإنسان في خسارة إلا من اتصف بأربعة أمور، ولو تأملنا هذه الأمور الأربعة لوجدنا أنها هي مراتب جهاد النفس:(١٥٥)

(١) حملها على تعلم أمور الدين.

(٢) حملها على العمل بما علمت. ودليل الأولى والثانية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

(٣) حملها على دعوة غيرها إلى ما تعلمته. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾.

(٤) الصبر على ذلك كله. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

وتوحيده من رأس ماله أيضا وهو الأساس فيحافظ عليه مما يخل به.

---

(١٥٣) التحرير والتنوير (٢١/ ٣٧).

(١٥٤) تفسير السعدي ص٦٣٦.

(١٥٥) زاد المعاد (٣/ ١٠- ١١) بتصرف.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وفرائضه من رأس ماله كذلك فيحافظ عليها (وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وليحاسبها أولاً على الفرائض، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوفى منها ما فرط).(١٥٦)

ومن أحسن فيما أمره الله أعانه الله ويسر له سبل الهداية والصلاح والثبات.

(وقد مُثِّلَتِ النفسُ مع صاحبها بالشريك في المال، فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشارطة على ما يفعل الشريك أولًا، ثم بمطالعة ما يعمل، والإشراف عليه ومراقبته ثانيًا، ثم بمحاسبته ثالثًا، ثم يمنعه من الخيانة إن اطلع عليه رابعًا، فكذلك النفس؛ يُشارطها أولًا على حفظ الجوارح السبعة التي حِفْظُها هو رأس المال؛ والربح بعد ذلك، فمن ليس له رأس مال؛ فكيف يطمع في الربح؟)(١٥٧)

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت: ٦] وأفاد القصر(١٥٨) في قوله: ﴿فَإِنَّمَا﴾ أن النفع والفائدة من الجهاد عائدة لنفس المجاهد، لا لفائدة تعود إلى الله سبحانه.

(لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بُخْلا عليهم.

وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد).(١٥٩)

وقال الحسن: (إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبة من همَّه).(١٦٠).

---

(١٥٦) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، (ص٣٧٤).

(١٥٧) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/١٣٥).

(١٥٨) التحرير والتنوير (٢٠/ ٢١١)

(١٥٩) تفسير السعدي ص ٦٢٦.

(١٦٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (٢/١٤٥) مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ –

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث السادس: التوبة

التوبة هي ثمرة المحاسبة والفائدة المرجوة منها، فبعد أن تبين له ماله وما عليه فلا يقف عند المحاسبة بل ليشمر إلى التوبة وهي في اللغة: (الرجوع من الذنب).(١٦١)

وفي الشرع: (ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة).(١٦٢)

والتوبة أفضل أحوال العبد (لأنّها أوّل المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقها العبد أبدا ولا يزال فيها إلى الممات. وإن ارتحل السّالك منها إلى منزل آخر ارتحل به، ونزل به. فهي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النّهاية ضروريّة، كما حاجته إليها في البداية كذلك).(١٦٣)

والتوبة محببة إلى الله وأهلها كذلك يحبهم الله قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] والجليل سبحانه يفرح بالتوبة كما صح ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: "لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"(١٦٤) (ولم يجئ هذا الفرحُ في شيءٍ من الطَّاعات سوى التَّوبة. ومعلومٌ أنَّ لهذا الفرح تأثيرًا عظيمًا في حال

١٩٧٤ م.

(١٦١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٩١).

(١٦٢) المفردات في غريب القرآن (ص١٦٩).

(١٦٣) مدارج السالكين (١/ ٢٧٤).

(١٦٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (٤/ ٢١٠٤) رقم الحديث (٢٧٤٧).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

التّائب وقلبه، ومزيدُه لا يعبَّر عنه. وهو من أسرار تقدير الذُّنوب على العباد، فالعبدُ ينال بالتَّوبة درجةَ المحبوبيَّة، فيصير حبيبًا لله، فإنَّ الله يحبُّ التَّوَّابين).(١٦٥)

وقد دعى الله عز وجل عباده المؤمنون للتوبة فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فهذه الدعوة إلى التوبة (أعقبت الأوامر والنواهي الموجهة إلى المؤمنين والمؤمنات بأمر جميعهم بالتوبة إلى الله إيماء إلى أن فيما أمروا به ونهوا عنه دفاعا لداع تدعو إليه الجبلة البشرية من الاستحسان والشهوة فيصدر ذلك عن الإنسان عن غفلة ثم يتغلغل هو فيه فأمروا بالتوبة ليحاسبوا أنفسهم على ما يفلت منهم من ذلك اللمم المؤدي إلى ما هو أعظم).(١٦٦)

فالتوبة تكون إلى الله بفعل ما أمر الله به من الطاعات الظاهرة والباطنة، وكذلك بترك المنهيات الظاهرة والباطنة.

فإن في التوبة ذل وانكسار بين يدي الله عز وجل يستمطر بها رحمته وعفوه، وهذا الحال من الضعف جالب لهذه الرحمة والقرب.

ودعى عباده إلى التوبة النصوح فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] و(النصح: تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، ... وهو من قولهم: نصحت له الود. أي: أخلصته، وناصح العسل: خالصه، أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته، والناصح: الخياط. وقوله: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾

فمن أحد هذين، إما الإخلاص، وإما الإحكام).(١٦٧)

---

(١٦٥) مدارج السالكين (١/ ٤٦٠).

(١٦٦) التحرير والتنوير (١٨/ ٢١٤)

(١٦٧) المفردات ص ٨٠٨ بتصرف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

والتوبة النصوح هي:(توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات).[١٦٨] (والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله).[١٦٩]

وقال محمّد بن كعب القرظيّ: «التّوبة يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللّسان، الإقلاع بالأبدان، إضمار ترك العود بالجنان، مهاجرة سيّئ الإخوان).[١٧٠]

شروط التوبة:

قال النووي: (للتوبة ثلاثة شروط:

(١) أن يقلع عن المعصية.

(٢) وأن يندم على فعلها.

(٣) وأن يعزم عزما جازما أن لا يعود إلى مثلها أبدا.

(٤) فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه والتوبة أهم قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة).[١٧١]

فإذا فعل العبد ذلك صلحت نفسه في دنياه وصلح حاله في أخراه فإن الله وعده على هذه التوبة النصوح (بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه

---

(١٦٨) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٨).

(١٦٩) تفسير السعدي (ص٨٧٤)

(١٧٠) مدارج السالكين (١/ ٢٧٧).

(١٧١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (١٧/ ٢٥)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي لا تعطى المنافقين، ويسألون الله أن يتمم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح).[١٧٢]

المبحث السابع: استحضار يوم الحساب

(والحساب العد).[١٧٣] وهو (عد أفراد الشيء ذي الأفراد).[١٧٤] (والحساب مصدر حاسب غيره إذا حسب له ما هو مطلوب بإعداده، وفائدة ذلك تختلف فتارة يكون الحساب لقصد استحضار أشياء كيلا يضيع منها شيء، وتارة يكون لقصد توقيف من يتعين توقيفه عليها، وتارة يكون لقصد مجازاة كل شيء منها بعدله).[١٧٥]

ويوم الحساب هو اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، والذي يحاسب الله فيه العباد على ما قدموه من أعمال في حياتهم الدنيا.

والإيمان بهذا اليوم ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا به، وذلك لأهميته ولما له أثر في إصلاح النفس وتزكيتها.

قال سبحانه: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وكان جواب رسول الله ﷺ لجبريل حينما سأله عن الإيمان كان جوابه متضمنا لليوم الآخر: "فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[١٧٦]

---

(١٧٢) تفسير السعدي (ص٨٧٤)

(١٧٣) تفسير القرطبي (٢/ ٤٣٤).

(١٧٤) التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٨).

(١٧٥) المصدر السابق (٢٤/ ١١٢).

(١٧٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦)، رقم الحديث (٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به تعالى والإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالمبدأ والإيمان بالمعاد؛ لأن من لم يؤمن باليوم الآخر، لا يمكن أن يؤمن بالله).(١٧٧) فإن الله لم يخلق هذا الخلق ويحسن خلقه وتدبيره ويعافيه ويرزقه ويمده بما يعينه ويساعده على عبادة خالقه، ويسخر له ما في هذا الكون _ أقول- لم يفعل ذلك سبحانه عبثا حاشاه.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] (أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦]، يعني هملا. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦] أي: تقدس أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦]).(١٧٨)

واستحضار ذلك اليوم هو أن يكون حاضرا في الذهن لا يغيب، ولا يغفل عنه العبد، فينتبه لأعماله فيثبت على الصالح منها ويزداد منه، ويتوب من السيء من عمله ويبتعد عنه، فالإيمان بهذا اليوم هو المحرك لتقويم العبد لنفسه والسعي في تزكيتها وفي عتقها من النار، فالعبد لا يدري متى يأتيه الموت، لذا من كان من أولي الألباب تفكر في ذلك وقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١] (لم تخلق هذا الخلق عبثًا ولا لعبًا، ولم تخلقه إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة، ..."سبحانك فقنا عذاب النار"، .. يعني: تنزيهًا لك من أن تفعل شيئًا عبثًا، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر، لجنة أو نار.

(١٧٧) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (٢/ ١٠٥)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: السادسة، ١٤٢١ هـ.

(١٧٨) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠٠).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

ثم فَزِعوا إلى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره، فيكونوا من أهل جهنم).[١٧٩] فخافوا ذلك اليوم و(الخوف سراجٌ في القلب، به يُبصر ما فيه من الخير والشرّ، وكلُّ أحدٍ إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذ خفتَه هربتَ إليه، فالخائف هاربٌ من ربّه إلى ربّه).[١٨٠]

وإنما زادت الحسرة في ذلك اليوم لمن غفل عنه، أو لم يؤمن به. فالكافر يتحسر لعدم إيمانه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٧].

والمؤمن يتحسر لعدم استزادته بالأعمال الصالحة، لذا سمي يوم الحسرة قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩﴾ [مريم: ٣٩].

والإيمان بذلك اليوم له ثمرات على العبد تعود على تزكية نفسه وتطهيرها فمن ثمرات ذلك:

(١) الإخلاص لله في عبادته، ومراقبة الله في ذلك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢] (﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أي: ليختبركم ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ ولم يقل: أكثر عملا بل ﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصا لله عز وجل، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين بطل وحبط).[١٨١].

---

(١٧٩) تفسير الطبري (٧/ ٤٧٦) بتصرف.

(١٨٠) مدارج السالكين (٢/ ١٨٤).

(١٨١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(٢) الاجتهاد في تطهير النفس رغبة بالجنة ورهبة من النار:

قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ [طه: ٧٤] يخبر ربنا سبحانه (أن من أتاه، وقدم عليه مجرما –أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر– واستمر على ذلك حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، الأليم حرها وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك أن المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له، نعم إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإذا دعا، أجيب بـ ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨])[١٨٢] قال عز وجل بعد تلك الآية جزاء من تزكى ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٥– ٧٦] (وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جلّ جلاله ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه).[١٨٣]

(٣) الطاعة التامة لله ولرسوله ﷺ:

إن التحاكم إلى الله، واتخاذ النبي ﷺ قدوة، وعمارة المساجد، وإقامة الصلاة وأركان الإسلام، وإقامة الحدود، والجهاد بالنفس والمال، وعدم موالاة من حاد الله ورسوله، وغيرها من الأعمال الصالحة فرضا أو نفلا. قرنت في كتاب الله بالإيمان بالله واليوم الآخر ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [الطلاق: ٢] (إذ إن الذي لا يؤمن باليوم الآخر، لن يعمل؛ لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر، وما يخافه من العذاب والعقوبة، فإذا كان لا يؤمن به، صار كمن حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤])[١٨٤]

---

(١٨٢) تفسير السعدي (ص٥٠٩).

(١٨٣) تفسير الطبري (١٨/ ٣٤٣).

(١٨٤) شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، (٢/ ١٠٥).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(٤) الصبر على مصائب الدنيا:

هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار، وقد أخبر الله أنه سيبتلي بها عباده ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧] (لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين.... ومن وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب).[١٨٥]

ولا شك أن في ذلك تهذيب لنفسه وتطهير لها.

(١٨٥) تفسير السعدي (ص٧٦) بتصرف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث الثامن: الصحبة الصالحة

(صحب) الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته. من ذلك الصاحب).(١٨٦)

(وكل شئ لاءَمَ شيئاً فقد استصحبه)(١٨٧)

إن من أهم الوسائل بعد توفيق الله عز وجل لتزكية النفس واستقامتها الصحبة الصالحة، كما أن من أهم أسباب زيغه وضلاله الصحبة السيئة، فكم من صاحب سحب صاحبه للهداية والرشد، وكم من صاحب سحب صاحبه للغواية والضلال.

فهذا نينا ﷺ يدعو صاحبه أبا بكر للإسلام فيكون أول من آمن به من الرجال، وتحمل أعباء الدعوة معه، ورافقه في هجرته، وسطرت هذه الحادثة في القرآن ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومن كان سببا في صد أبي طالب عن النطق بالشهادة عند موته إلا الصحبة السيئة (لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله).(١٨٨)

وقد سجل القرآن الكريم لنا من عض يدا الندم من شدة حسرته لمطاوعته رفقة السوء قال سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩].

---

(١٨٦) مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٥).

(١٨٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٦٢).

(١٨٨) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة القصص، باب {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}، (٦/ ١١٢)، رقم الحديث (٤٧٧٢).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

(والعض: الشد بالأسنان على الشيء ليؤلمه أو ليمسكه، وحقه التعدية بنفسه إلا أنه كثرت تعديته بعلى لإفادة التمكن من المعضوض إذا قصدوا عضا شديدا كما في هذه الآية. والعض على اليد كناية عن الندامة).[١٨٩] (كل إنسان على دين أصحابه، فإذا أراد الله بعبد من عبيده خيرا وفقه لمعاشرة أهل السنة وأهل الستر والصلاح والدين، ويرده عن صحبة أهل الهوى والبدع والمخالفين).[١٩٠] قال ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل."[١٩١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين).[١٩٢] قال سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] فالصاحب الصالح ينفع ويشفع، ينفع في الدنيا بالتذكير بالله وبالإيمان والحث على فعل الخيرات وترك المنكرات، ويشفع في الآخرة لصاحبه، بخروجه من النار ودخوله الجنة، حينما يدخل أهل الجنة الجنة فلا يرون أصحابهم الذين كانوا في الدنيا يقول عنهم عليه الصلاة والسلام:

"وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا"[١٩٣]

---

(١٨٩) التحرير والتنوير (١٩/ ١٢).

(١٩٠) آداب الصحبة، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ص٤١)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر، ط: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(١٩١) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (١/ ١٨٧) رقم الحديث (٢٣٧٨)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٦ م. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٤/١) برقم (٣٥٤٥).

(١٩٢) تفسير الطبري (٢١/ ٦٣٨).

(١٩٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة}، (٩/ ١٢٩)، رقم الحديث (٧٤٣٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

وإنما تزداد حسرة أهل النار أن ليس لهم من يشفع لهم لا من صديق ولا قريب ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠- ١٠١] كان قَتادة إذا قرأ هذه الآية قال: (يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع).(١٩٤)

وكان علي رضي الله عنه يقول: (عليكم بالإخوان فإنهم عدة الدنيا وعدة الآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾)(١٩٥)

فإن مقياس اختيار الصاحب ليس ماله أو جاهه أو جماله، إنما هو إيمانه واستقامته على شرع الله، فصحبة الأخيار مرآة لك تبصرك بعيوبك وتعينك على جلائها، وتقوي عزيمتك على مجاهدة نفسك، وتصبيرها على طاعة الله، يذكره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر قال ﷺ: "المؤمن مرآة أخيه"(١٩٦)

وقد أمر الله نبيه ﷺ وأمته له تبع بأن يصبر على صحبة الأخيار وإن قلت دنياهم، ولا يستجيب للغافلين وإن ملكوا القصور والدور قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] ففي الآية (الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى. ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾

أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا

---

(١٩٤) تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٩).

(١٩٥) تفسير القرطبي (١٣/ ١١٦).

(١٩٦) صحيح الأدب المفرد، باب المسلم مرآة أخيه، (ص١٠٦)، رقم الحديث (١٧٨).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

تروق للناظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ولهذا قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: صار تبعا لهواه،)[١٩٧] ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (أي: أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه).[١٩٨] قال ابن الجوزي: (ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق؛ فإن لم يتشبه بهم، ولم يسرق منهم، فتر عن عمله).[١٩٩]

---

(١٩٧) تفسير السعدي (ص٤٧٥).

(١٩٨) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٤).

(١٩٩) صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ص ٤٢٥)، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المبحث التاسع: الدعاء

الدعاء: (هو طلب ما ينفع الدَّاعيَ، وطلب كشف ما يضرُّه أو دَفْعه).[٢٠٠] وهو من أفضل العبادات وأحبها إلى الجليل سبحانه، و"هو العبادة"[٢٠١] كما قاله ﷺ، أمر الله عباده به، وحثهم عليه، وأخبرهم أنه قريب منهم إذا سألوه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] وهذه الآية (تعريف جميع المؤمنين أن هذا وصف ربهم سبحانه أن يجيب دعاء الداعين في الجملة، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطراره فيجيبه بما شاء وكيف شاء).[٢٠٢] فبالدعاء تكشف الهموم، وتقضى الحاجات، وتفرج الكربات، ومن ذا الذي يستغني عن دعاء مولاه سبحانه و"ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"[٢٠٣] وتوعد من استكبر عن الدعاء بأن مصيره جهنم، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ (عن دعائي).[٢٠٤] و(هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة).[٢٠٥]

---

(٢٠٠) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (٣/ ٨٣٥)، تحقيق: علي بن محمّد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض)، ط: الخامسة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

(٢٠١) صحيح الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، (ص٢٦٥)، رقم الحديث (٥٥٣).

(٢٠٢) تفسير القرطبي (٢/ ٣١٠).

(٢٠٣) صحيح الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، (ص٢٦٥)، رقم الحديث (٥٥٢).

(٢٠٤) تفسير الطبري (٢١/ ٤٠٨)

(٢٠٥) تفسير ابن كثير (٧/ ١٥٣).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

فلو كان لأحد أن يستغني عن دعاء الله سبحانه لاستغنى الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، فقد سطر القرآن الكريم أدعيتهم ومناجاتهم لله سبحانه، فها هي سورة الأنبياء وغيرها تسجل لنا تضرعهم، منهم من يطلب النصرة، ومنهم من يسأل الصحة، ومنهم من يسأل الذرية.

والعبد ضعيف لا يملك حولا ولا قوة إلا بربه، نفسه تتقلب عليه، فمن أقوى الأسباب على زكاة النفس وصلاحها الانكسار بين يدي الله سبحانه، بأن يعين العبد على نفسه وعلى تهذيبها، وفي الحديث القدسي: " يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم"(٢٠٦) (فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها ففضل من الله من به عليها، لم يكن منها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها، ولكن الله هو الذي من بهما، فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٨]: ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصلح لهذا الفضل ويزكو عليه ويثمر عنده، ﴿حَكِيمٌ﴾ فلا يضعه عند غير أهله، فيضيعه بوضعه في غير موضعه).(٢٠٧)

وكان من دعائه ﷺ "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها."(٢٠٨)

ففي هذا الدعاء يسأل الله أن يعينه على نفسه بأن يمكنها من التقوى بفعل الأوامر واجتناب النواهي، فهذا طريق إلى طهارتها لذا قال (زكها) أي أعني على تحقيق ذلك فالسعيد من أعنته والشقي من طردته، (أنت خير من زكاها) ((خير) اسم

---

(٢٠٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٤) رقم الحديث (٢٥٧٧).

(٢٠٧) مدارج السالكين (١/٣٤٥).

(٢٠٨) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٤/ ٢٠٨٨) رقم الحديث (٢٧٢٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

تفضيل ولكن ليس على بابه من الدلالة على المفاضلة أي أنت مزكيها ولا مزكي لها غيرك (أنت وليها) أي متولي أمورها دينًا ودنيا (ومولاهما) أي ناصرها على أعدائها من النفس والشيطان والهوى والكفار).(٢٠٩)

وعامة دعاء النبي ﷺ يصب في صالح تهذيب النفس وتزكيتها (وقد أجمع العارفون على أن كل خيرٍ فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرٍّ فأصله خِذلانه لعبده. وأجمعوا أن التوفيق أن لا يَكِلَك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخليَ بينك وبين نفسك. فإذا كان كل خيرٍ فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقارُ وصدقُ اللَّجأ والرغبة والرهبة إليه؛ فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاحَ فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مُرْتَجًا دونه. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنِّي لا أَحمِلُ همَّ الإجابة، ولكن همّ الدُّعاء؛ فإذا أُلهِمتُ الدُّعاءَ فإن الإجابة معه. وعلى قدر نيَّة العبد وهمَّتِهِ ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقُه سبحانه وإعانته؛ فالمعونة من الله تَنزِلُ على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخِذلان يَنزِل عليهم على حسب ذلك. فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين).(٢١٠)

وعلى الداعي أن يحسن الظن بربه ويلح في طلبه، ويعزم في مسألته، ويتحرى أوقات الإجابة، وبالجملة يأتي بشروط الدعاء وآدابه، فإن اللطيف الرحمن الرحيم لا يخيب من صدق معه.

---

(٢٠٩) الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، (٢٥/ ١٢٣)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(٢١٠) الفوائد لابن القيم (١/ ١٤١).

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في إصلاح النفس والوسائل المتبعة في ذلك، نختم بما يلي:

(١) أن القرآن منهج متكامل لإصلاح النفس البشرية.

(٢) أن النفس والروح سواء، والجسد قالب لذلك.

(٣) النفس عدوة للعبد إذا تركها، فهو بحاجة ماسة إلى ترويضها وضبطها حتى يصلح شأنها.

(٤) تضخيم العبد لذاته وتجاهله لعيوب نفسه، هو سبب عطبه وهلاكه.

(٥) أن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة لمن وفقه الله وأعانه على تزكية نفسه.

(٦) أن العبد بإمكانه تهذيب نفسه – بإذن الله – إذا اجتهد وبذل الأسباب.

(٧) وسائل إصلاح النفس مبثوثة في القرآن الكريم لمن أراد إصلاح نفسه ونجاتها.

(٨) تهذيب النفس هو البوابة الرئيسة لصلاح المجتمع، فبصلاح العبد، تصلح الأسرة، وبصلاح الأسر يصلح المجتمع.

التوصيات:

(١) يجب على العبد أن يتخذ القرآن الكريم والسنة له تبع أن يتخذهما منهجا لتزكية نفسه وتطهيرها.

(٢) ضرورة القراءة في الكتب التي تعينه على تهذيب النفس، وأولها كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ وسيرته، والقراءة في سير أصحابه رضوان الله عليهم وتابعيهم، وسلف الأمة، لمعرفة كيف هذبوا أنفسهم.

(٣) القراءة في كتب تهذيب النفس، – وهذه التوصية تابعة لما قبلها– خاصة للأئمة الثقات كابن تيمية وابن القيم وابن رجب رحمهم الله فقد كان لهم نصيب وافر في الكتابة في هذا العلم.

(٤) تنظيم دورات في تهذيب النفس وإصلاحها، لرفع مستوى الوعي بهذا الأمر، واستنهاض الهمم للإصلاح.

(٥) كلما تعددت الأسباب التي يتخذها العبد لتهذيب نفسه؛ كلما قارب – بإذن الله– إلى الوصول لهدفه، وهذا يحتاج إلى جد واجتهاد وافتقار إلى الله وانكسار بين يديه أن يعينه ويثبته على ما يحبه ويرضاه.

اللهم إني نسألك من فضلك وجودك وكرمك وإحسانك أن تزكّي نفوسنا، فأنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

د. حصة بنت حمد بن محمد الحواس

Soul Reformation in the Holy Quran "An objective study"

: Dr. Hessah Hamad Mohammad Alhawwas

Associate Professor in the Department of Quran and its science, Faculty of Sharia and Islamic Studies in Qassim University

People tried possible ways of reforming and refining their souls. Yet, they didn't know that this was near at hands.
Verses in Holy Quran elaborate extensively on talking about the soul, urging people to reflect on it, explaining its types, and scrutinizing it so that it will be pleased with contentment in worldly life and Hereafter. It will be saved from distress and torment in both worlds because the Islamic principle focuses on reforming and refining the soul, as the salvation and destruction of people is associated with righteousness or corruption of their souls. This paper defined the soul and its indications in the Quran and command versus prohibition of purifying the soul. It consists of two chapters. Chapter one tackles the types of soul mentioned in the Quran: tranquil, evil-inciting, and self-reproaching, discussed separately. Chapter two includes nine soul-reforming means as follows; feeling the greatness and observation of Allah, reciting and pondering Quran, fearing Allah obeying His commands and avoiding prohibitions, being endowed with virtue and abandoning vices, self-reckoning and striving against following one's desires, repentance, recalling Judgment Day, righteous companionship, and supplication. Finally, the findings and recommendations are summarized. May Allah bestow upon me blessings and good deeds.

Keywords: Reform - soul - Holy Quran

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. = بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة، صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
- البركتي: محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ.
- الجرجاني: علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، صيد الخاطر، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام، بن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الدامغاني: الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبد العزيز سيد الأهل. دار العلم للملايين، البعة الخامسة ١٩٨٥م.
- راغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- العثيمين: محمد بن صالح بن محمد، شرح الأربعين النووية، دار الثريا للنشر.
- العثيمين: محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطية، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢١ هـ.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

- العثيمين: محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم «سورة النساء»، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- ابن العربي: محمد بن عبد الله أبو بكر، المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الفراء: يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ابن قدامة المقدسي: أحمد بن عبد الرحمن، مختصر منهاج القاصدين، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة. الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير – محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض؛ ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩م (الأولى لدار ابن حزم).
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، الروح، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، خرج أحاديثه: كمال بن محمد قالمي، راجعه: سعود بن عبد العزيز العريفي – جديع بن محمد الجديع، دار عطاءات العلم، الرياض؛ ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفوائد، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم، الرياض؛ ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمّد العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين في منازل السائرين، دار عطاءات العلم، الرياض؛ ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)
- ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
- مقاتل: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، اعتنى به: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م.
- النووي: أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- النووي: محيي الدين يحي بن شرف، الأذكار، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
- النيسابوري: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- النيسابوري: محمد بن الحسين بن محمد، آداب الصحبة، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- الهَرَري: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج؛ دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ص ص ٦٧٠ – ٧٣٨ (ربيع الثاني١٤٤٥هـ /نوفمبر٢٠٢٣م)

- الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.